عندما يبكى الرجال

لقد امتد انشغالى إلى ما بعد حدود الوطن حتى وصل إلى أعالى حوض البحر المتوسط ووسط أوروبا متابعًا التطورات للأخوة اللاجئين السوريين خطوة بخطوة ليطمئن قلبى على أخبارهم وكأنى منهم، من منكم لا يعلم بمأساة اللاجئين السوريين خارج حدود وطنهم؟! الحكايات والروايات والمغامرات التى يمرون بها فى البحر آلام وأحزان لدولة عربية شقيقة، وكانت فى يوم من الأيام قوة عسكرية عظمى للشرق الأوسط، وكان الكيان الإسرائيلى يعمل لها كل حساب، ونحن نعلم بأن الإسرائيليين يحتلون جزءًا من أرضها، ولقد تبددت الأيام وصار أهلها عالة على الآخرين من دول الجوار، وصارت مأساة الأسر السورية المهاجرة ما بين المطرقة والسندان من خلال عبورهم الدول بدءً من المتوسط، ومن المآسى التى مر بها الإخوة السوريون هذا المنظر الحزين للطفل ايلان الغريق على ساحل البحر المتوسط هذا المنظر الذى يشيب له الجبين، هذا المشهد المأساوى والذى يتحمله كل العرب وليست الحكومة السورية وحدها؟!!!

القضية قضية العروبة، ماذا فعل والد الطفل ايلان، لقد غرق ابنه وتركه مع الأمواج لإنقاذ باقى أسرته وليكمل رحلته عبر البحر، لقد ظل أبو ايلان يصارع الأمواج مع باقى أسرته لعدة ساعات وما لبث أن غرق ابنه الآخر وينزلق إلى قاع البحر وتلحق بهما زوجته هى الأخرى هذا الرجل الصبور الشجاع الذى ترك بلدته عين العرب كوبانى على الحدود التركية فى رحلة الهروب من مرمى النيران فى سوريا، لكن كان القدر أسرع بأن تموت أسرته بين يديه بأعالى البحر، لقد ترك الأرض والوطن لإنقاذهم وبعدما كان يفكر أبو الطفل ايلان فى الهجرة بعيدًا عن أهوال الحرب قرر أن يرجع لوطنه وسط الأنقاض ليعيش حياته وحيدًا بعد فقدانه أسرته بالكامل ولم يكن عبد الله كردى أبو إيلان الغريق سوى صورة أليمة.

لقد بكى هذا الرجل كثيرًا على وطنه وأهله، وعلى ما صار عليه حال العرب.

كل التحية للحكومة الفرنسية والنمساوية لاستضافتهما للاجئين الذين قطعوا آلاف الأميال إلى أوروبا عبورًا من مقدونيا إلى البوسنة ثم إلى المجر والنمسا وفرنسا ما بين الإبحار وركوب القطارات عبر هذه الدول، فتحية لكل من ساعد إخوتنا السوريين فى محنتهم، وأمجاد يا عرب أمجاد.

مجلة النهار عدد: سبتمبر 2015م